"حرب بالمذكر... حرب بالمؤنث" في "أمم"
مقاتلون رووا التجربة... والندم موضوع نقاش

بدعوة من "مركز أمم للتوثيق والأبحاث"، عرض فيلمان قصيران بعنوان "حرب بالمذكر... حرب بالمؤنث" ضمن سلسلة أفلام "وجهاً لوجه ما كان" في إطار مشروع "ما العمل... لبنان وذاكرته حمّالة حروب"، في هنغار "أمم"، حارة حريك. وتميز اللقاء بتسليطه الضوء على مقاتلين شاركوا في الحرب، في حين أن اعمالا سابقة سلطت الضوء على الضحية من دون النظر إلى الطرف الآخر الذي "جنى على هذه الضحية": ماذا ارتكب؟ ما كانت ظروفه، وكيف يتأقلم مع المجتمع؟

امتد الفيلم الأول "لكي تكون فقط للذكرى... نساء مقاتلات" 20 دقيقة، وأخرجته سحر عساف جزءاً من تحصيلها الجامعي وجمعت فيه خبرتها الصحافية والعلمية. وهو يروي على لسان أربع نساء لبنانيات، تجربتهن خلال الحرب: رينا حنا المقاتلة في "الكتائب"، وفاديا بزي المقاتلة في "الحزب الشيوعي اللبناني"، وميسلون فرحات المقاتلة في "الحزب السوري القومي الإجتماعي"، وكوليت طنوس المقاتلة في "الكتائب".

وتحدثت رينا عن حملها السلاح تحت شعار "النضال"، معتبرة أنها كانت تدافع عن نفسها بعد وضعها أمام خيارات حاسمة "يا بدافع عن كرامة بيتي وعيلتي، أو بتفرج عالعسكر يللي كان مفترض يدافع عنا".

وموقف كوليت كان مشابهاً لرينا، اذ اعتبرت انها كانت "مضطرة الى حمل السلاح دفاعاً عن حالي (...) الحرب عبثية وتحولت حروباً عدة... كرمال هيك رجعت انسحبت بس بطلت مقتنعة باللي عم بعملو".

أما فاديا فلم تفهم السبب الذي دفعها الى حمل السلاح "ضد أخي اللبناني"، لافتة الى أنها لن تكرر ذلك "إلا ضد العدو الإسرائيلي". وروت تجربتها قائلة: "مرة داهمونا، كنت لابسة متل العادة تياب عسكرية، ومش مبينة إني بنت، إجا واحد يفتشني، ولما ضرب إيدو على صدري استغرب وقال: بنت! قلتقلو إيه شو ممنوع البنت تقاتل؟!". وروت عن أحد المصابين "نوع من الهستيريا: أنا مش مقهور إني نصبت بالمعركة، مقهور لأنو بنت صابتني".

فيما أكدت ميسلون أنها لم تشارك في الحرب الداخلية بل حملت السلاح ضد العدو الإسرائيلي "إلا أن ما يجمعني بالنساء الثلاث هو انني "مؤنث". كانوا يعيطولي رفيق ميسلون... كان شعري دهبي طويل، وكنت أربطو وحطو تحت الطاقية العسكرية".

الفيلم الثاني "من الحرب إلى المصالحة" مدته 14 دقيقة من انتاج "أديان" التي تعمل على توضيح المفاهيم الدينية في إطار التعددية، يضع إثنين من مقاتلي الحرب وجهاً لوجه، هما أسعد الشفتري ومحيي الدين شهاب، لتبيان نظرة كل منهما الى الآخر.

ويعرب أسعد عن ندمه على كل أمر أصدره في الحرب: "كنت أقود مجموعات قتالية، وإحسم قرار الحياة والموت بكل ضمير مرتاح... ولا لحظة فكرت إني عم بقتل إنسان". نقطة التحول كانت في "أكثر أيام حياتي سواداً، حين اضطررت إلى مغادرة بلدتي للعيش في البقاع، بالقرب من الذين كنت أكن لهم الكره والعداء. كنت إكره كل مسلم، إعتبرو كافر، غريب... بس تهجرنا من ضيعتنا وطلعت على زحلة احتضنونا هول العالم، كل شي تغير عندي، قالولي وقتها: نحنا منستقبل الإنسان فيك".

من جهته، يتحدث محيي الدين بندم على ما قام به خلال الحرب، معتبرا أن نظرته إلى أخيه المسيحي تغيرت عندما عرفه، مستذكراً الإعتذار الذي قدمه الشفتري إلى اللبنانيين عما ارتكبه خلال الحرب "أول ما قريت الإعتذار ما صدقتو، ولما التقينا ما حبيت حط إيدي بإيدو، لكن بس حطيتا تغير فيي شي، وبتنا صديقين يلتقيان على التكفير عن الماضي، وتنبيه الجيل الجديد من مخاطر الإنزلاق إلى حرب أهلية". وختم أسعد: "الحرب مجوية ودموية ومقرفة".

وتلا العرض حوار شارك فيه اسعد ورينا وكوليت وفاديا، ودام أكثر من ساعة، نوقشت خلاله أفكار عدة.

واعتبرت كوليت ورينا أنهما غير نادمتين على ما فعلتاه، اذ قالت رينا ان "أمراً واقعا فرض علينا"، وهي من خلال حديثها أرادت القول ان الحرب "تتحول حروباً أخرى"، مما لقي انتقاداً من بعض الحاضرين الذين اعتبروا الندم "اساس تخطي الماضي وفتح صفحة جديدة". في حين قالت كوليت انها غير نادمة على ما لم تختره "وانا لم أقاتل الآخر على أساس أنه مسلم، ولكن على أساس أنه هاجمني وانا دافعت".

وأبدت فاديا أسفها لما قامت به، وهو ما شاركها فيه أسعد الذي توجه الى النساء الثلاث قائلاً: "بحسدكن لأنكن ما أذيتوا عن قصد بس أنا أذيت عن قصد... كتير سهل يقول الواحد تصالحت مع نفسي ومع ربي... بس كتير صعب على الإنسان انو يقول أنا غلطت".

واعتبر البعض في مداخلاتهم ان الحرب اللبنانية "لا يمكن تسميتها أهلية لأنها كانت حرب الآخرين على أرضنا، فاللبنانيون ليسوا وحوشاً بل دعاة سلام". لكن اسعد قدم وجهة نظر مغايرة قال فيها: "ما حدا ضربنا على إيدنا وقلنا قتلوا ودمروا، نحنا أخدنا هيدا الخيار".

كما أبرزت بعض المداخلات "خوفاً من الانزلاق الى حرب جديدة".

م.ح.

الحضور في "الهنغار". (ابرهيم الطويل)